

القسم الديني

﴿ باب الاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه
«الاصراء والحكام ونوع الحكومة الاسلامية»

(١) قال صلى الله عليه وسلم : «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم ان فيهم اولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين» . فهل اصراؤنا وعمالنا اعلنا بالكتاب والسنة

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة»
افلا يكفر اكثر المسلمين اليوم من يدعوهم الى العمل بهذا الحديث المتفق عليه
(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : لا طاعة لأحد في معصية الله انما

الطاعة في المعروف

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : من ارضى سلطاناً بما يسخط ربه
خرج من دين الله

(٥) استقيموا قريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا لكم فضعوا
سيوفكم على عواقبكم ثم ايذوا خضراءهم» . أليست هذه سيطرة فعالة للامة
على الاصراء والحكام ، فمن اين جاءت السلطة المطلقة في الاسلام ؟
أليس ملوك المسلمين اولى بان يماهدوا الامة عند المبايعة على تحكيمها

(١) رواه مسلم وابو داود عن ابن عباس (٢) رواه احمد والشيخان واحباب السنن الاربعة عن ابن عمر (٣) رواه الشيخان وابو داود والنسائي عن علي (٤) الطبراني والحاكم عن عبادة ابن الصامت (٥) رواه الامام احمد عن ثوبان

في دماهم اذا خالفوا شريعتها من ملوك الانكليز الذين يبيحون لمجلس
الامة دماهم اذا خالفوا قوانين البلاد وتقاليدها المتبعة ؛ بلي لأن المسلمين
مزمين بالعمل بالشريعة وتقييد السلطة للدين والدنيا معاً بخلاف اولئك
(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : اسمعوا هل سمعتم ؟ سيكون بعدي
امراء (في غير هذه الرواية هنا زيادة يكذبون ويظلمون) فمن دخل عليهم
فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد
على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم
فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم ائمة يملكون ارزاقكم
يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا
فيجهم وتصدقوا كذبهم فاعطوهم الحق ما رضوا به فاذا تجاوزوا فن قتل
على ذلك فهو شهيد ». فانظروا كيف حكم الامة بالائمة والامراء وجعلها هي
المطية وهي المانمة وأمرها بالخروج عليهم اذا لم يرضوا بالحق وعند المقتول
في هذا السبيل شهيداً فهل يقول احد بعد ان نوع الحكومة في الاسلام
غير معروف ؛ ألا يجب تربية الامة على الاستقلال لتقيم به هذا الركن

﴿ آثار السلف ، عبرة للخلف ﴾

(الخطبة الاولى للخليفة الاول رضي الله عنه)

لما بويج ابوبكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . أما بعد ايها الناس فقد وليت عليكم

(٦) رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان عن كعب بن عجرة ورواه

غيرهم عنه وعن غيره (٧) رواه الطبراني عن ابي سلاله وله طرق اخرى

ولست بخيركم لو ددت أن قد كفاني هذا الأمر احذكم
اعلموا ايها الناس أن اكيس الكيس التقى وان احق الحق المجور
الا أن الصدق عندي الامانة والكذب الحيانة وان اقواكم عندي الضيف
حتى أخذله بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه انما أنا متبع
ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني وحاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا ولا يدع قوم الجهاد الا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت
الفاخشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء فاطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت
الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .
وفي رواية قوموا الى صلاتكم^(١)

قوله رضي الله عنه « وان زغت فقوموني » قد اقتدى به عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من بعده في عبارته المشهورة « من رأى منكم في
عوجاً فليقومه » وعثمان رضي الله عنه في قوله « أمرى لأمركم تبع » وقد
روي عنهم مثل هذا كثيراً وكان يوعظون قولاً وكتابة فيحمدون من
يعظمهم ويأمرهم بالخير . على هذا بنيت الخلافة الاسلامية فهدم ركنها
بنو امية وحاولوا جعل السلطة مطلقة أو استبدادية وساعدتهم من بعدهم على
ذلك بالتدريج وساعد الملوك بعض الفقهاء فجعل لهم من السلطة والتصرف
المطلق ما لم يجعله لهم الدين . وكان اول من جاهر بالمنع من نصيحة الملك
أو الخليفة جهراً عبد الملك بن مروان فقد قال على المنبر « من قال لي اتق
ضربت عنقه » فضعف بهذا امر الشورى وبطلت سيطرة الامة على

(١) ملخص من رواية البيهقي عن الحسن وابن اسحق عن أنس بسناد قال
ابن كثير انه صحيح . والدينوري عن عبد الله بن عكيم . وفي بعض الفاظها اختلاف

امرائها فاستبدوا وجعلوا بأس الامة بينها شديداً وحارب بعضهم بعضاً
لاجل الفتوح والفتاب وازالة سلطنة وإدالة اخرى منها حتى حل بالمسلمين
مآم فيه من البلاء المبين

« الخطبة الاولى للخليفة الثاني رضى الله عنه »

عن سعيد ابن المسيب قال : لما وُلِّي عمر بن الخطاب خطب الناس
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها
الناس انى قد علمت انكم كنتم تؤنسون منى شدة وغلظة وذلك انى كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عبده^(١) وخادمه وكان كما قال
الله تعالى « بالؤمنين رؤوف رحيم » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا
أن يمدنى او ينهاني عن امر فأكفّ والا اقدمت على الناس لمكان لينة
فلم ازل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو
عني راض والحمد لله على ذلك وأنا به اسعد . ثم قلت ذلك المقام مع ابى
بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد علمت فى كرمه ودعته
ولينه فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتى بليته الا ان يتقدم
الى فأكفّ والا اقدمت فلم ازل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض
والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به اسعد

ثم صار امرهم الى اليوم وأنا اعلم فسيقول قائل كان يشتد علينا والامر
الى غيره فكيف به اذا صار اليه . واعلموا انكم لا تسألون عني احداً فقد
عرفتموني وجربتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما اصبحت نادماً

(١) وقع في هذه الرواية لفظ عبد وهو لم يعهد منهم وان كان مفسراً بالخدم

على شيء اكون احب ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الا وقد سألته . فاعلموا ان شدتي التي كنتم ترون قد ازدادت أضعافاً اذا صار الامر الى على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويمهم واني بعد شدتي تلك واطع خدي بالارض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم . واني لا آبي ان كان بيني وبين احد منكم شيء من احكامكم ان امشي معه الى من احببتم منكم فلينظر بيني وبينه احد منكم فاتقوا الله وأعينوني على انفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولايني الله من امركم . ثم نزل^(١)

وعن الحسن قال : ان اول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليت بي وخلفت فيكم بمد صاحبي فمن كان يحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والامانة فمن يحسن زده حسناً ومن يسيء نعاقه ويفقر الله لنا ولكم^(٢)

فانظروا كيف وطن نفسه على قبول تحكيم من يريدون منهم اذا كان لأحد عليه حق وكيف وطنها على قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاذا وفق الله امراءنا وحكامنا للاهتداء بهديهم والسير على سننهم فان الدين يمتز بالخلف كما اعتر بالسلف وتكون من المفلحين . وظاهر ان هذين الخليفةتين العادلين ماسارا هذه السيرة من انفسها وانما تعلماها من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أدلة ذلك الاحاديث السابقة ومثلها كثير .

(١) رواه أبو حسين بن بشران في فوائده وأبو أحمد الدهقان في الثاني من

حديثه والحاكم واللاكلابي . (٢) رواه ابن سعد والبيهقي . ولعل كل راو ذكر من

الخطبة شيئاً مما حفظه بمناسبة اقتضت ذلك